

(١)

فضل الصيام وسلوك الصائمين

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز : {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ...} ،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده
ورسوله ، اللهم صلِّ وسلِّم وباركْ عليه وعلى آله وصحبه ، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم
الدِّينِ ، **وبعد :**

فقد اقتضت حكمة الله (عز وجل) أن جعل لعباده مواسم للخير يتجلى عليهم
فيها بالنفحات ، ويضاعف لهم الأجر والحسنات ، ويمحو عنهم الذنوب والسيئات ،
يقول (صلى الله عليه وسلم) : (**إِنَّ لِرَبِّكُمْ فِي أَيَّامِ الدَّهْرِ نَفَحَاتٍ ، فَتَعَرَّضُوا لَهَا ، لَعَلَّ
أَحَدَكُمْ أَنْ تُصِيبَهُ نَفْحَةٌ فَلَا يَشْقَى بَعْدَهَا أَبَدًا**) ، ومن أعظم هذه المواسم شرفاً ،
وأكثرها فضلاً شهر رمضان ، فهو سيد الشهور وأعظمها ، وأيامه خير الأيام وأفضلها ،
ولياليه أشرف الليالي وأطهرها ، شهر تترين الدنيا كلها فرحاً بقدومه ، وتتهياً فيه الجنة
لاستقبال الصائمين ، تفتح فيه أبواب الجنان ، وتغلق فيه أبواب النيران ، شهر جعل
الله صيام نهاره فريضة ، وقيام ليله سنة وتطوعاً ، بل إن صيامه ركن من أركان
الإسلام ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (**بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا
اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَحَجِّ الْبَيْتِ ، وَصَوْمِ
رَمَضَانَ**) .

وقد كان النبي (صلى الله عليه وسلم) إذا هبت نسائم رمضان ، يبشر أصحابه
(رضوان الله عليهم) بقدومه ، ويحثهم على اغتنام أيامه ولياليه بالمسارعة إلى

(٢)

الخيرات ، وطلب المغفرة والرحمة ، فإن فضل الله تعالى وعطاءه فيه للصائمين عظيم ، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (أَتَاكُمْ رَمَضَانُ شَهْرُ بَرَكَةٍ ، فِيهِ خَيْرٌ يُعْشِيكُمْ اللَّهُ فِيهِ ، فَتَنْزِلُ الرَّحْمَةُ ، وَتُحَطُّ الْخَطَايَا ، وَيُسْتَجَابُ فِيهِ الدُّعَاءُ ، فَيَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى تَنَافُسِكُمْ ، وَيُبَاهِي بِكُمْ مَلَائِكَتَهُ ، فَارُوا اللَّهَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ خَيْرًا ، فَإِنَّ الشَّقِيَّ مِنْ حُرْمٍ فِيهِ رَحْمَةٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (أَتَاكُمْ رَمَضَانُ شَهْرٌ مُبَارَكٌ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، وَتُعَلَّقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ ، وَتُعَلُّ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ ، لِلَّهِ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ) .

إن صيام رمضان منحة ربانية تتطلع إليها قلوب المؤمنين ، وتشوف لبلوغها أفئدة المتقين ؛ ذلك أن الصيام عبادة لا نظير لها من بين العبادات ، حيث قال نبينا (صلى الله عليه وسلم) لسيدنا أبي أمامة الباهلي (رضي الله عنه) عندما سأله : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مُرْنِي بِعَمَلٍ أَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ ، فَقَالَ : (عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ) ؛ لذا فقد اختص الله (عز وجل) الصيام بفضائل كثيرة ، منها :

* أن الله (عز وجل) قد شرفه بإضافته لنفسه رفعا لكانته ، وتعظيمًا لشأنه ، فالصوم سرٌّ بين العبد وربّه ، فالصائم قد يكون في موضعٍ خالٍ من الناس وبإمكانه أن يتناول ما حرّم الله عليه بالصيام فلا يفعل ، لأنه يعلم علم اليقين أن له ربًّا يطّلع عليه في أمره كله ، فيتركه لله خوفًا من عقابه ، ورغبةً في ثوابه ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : قال الله (عز وجل) : (كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ) .

وفي رواية : (كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ ، الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : إِلَّا الصَّوْمَ ، فَإِنَّهُ لِي ، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ

(٣)

أَجْلِي، وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرَحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرَحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ، وَلِخُلُوفِ فَمِ الصَّائِمِ عِنْدَ اللَّهِ أَطْيَبُ مِنْ رِيحِ الْمَسْكَ)، لذا يقول أهل العلم: كفى بقوله سبحانه: (الصوم لي) فضلاً له على سائر العبادات .

وقد اختلف في المراد بقوله سبحانه: (الصوم لي ، وأنا أجزي به) مع أن الأعمال كلها لله (عز وجل) وهو الذي يجزي بها ، فقيل: إن الصوم عبادة خالصة لله فلا يدخلها الرياء ، وقيل: المقصود أنه أحب العبادة لدي ، والمقدم عندي على غيره، وقيل: سبب الإضافة إلى الله تعالى أن الصيام لم يعبد به غير الله تعالى، بخلاف الصلاة والصدقة والطواف ونحو ذلك .

* ومن فضائل الصيام: أنه يغفر الذنوب ويمحو السيئات ، فالحق سبحانه وعد الصائمين بالمغفرة والأجر العظيم ، فقال تعالى : {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا}.

بل لقد ساءى الله (عز وجل) بين الصائمين وحجاج بيته الحرام في مغفرة الذنوب ، حيث يقول النبي (صلى الله عليه وسلم) في ثواب الحج : (مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ)، أي: رجع خالياً من الذنوب كيوم ولدته أمه ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) في ثواب الصيام : (مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)، فقوله: (غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ) تعدل (رَجَعَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا

(٤)

وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، بَلْ إِنَّ هُنَاكَ لَيْلَةً وَاحِدَةً مِنْ رِزْقِ إِحْيَاءِهَا بِالْقِيَامِ
وَالْقُرْآنِ وَالِدَعَاءِ، وَوُفِّقَ لِعِبَادَةِ اللَّهِ فِيهَا غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ، وَهِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ، يَقُولُ نَبِيْنَا
(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ).

* ومنها: **أن الصوم أحد أبواب الخير، وخصاله التي تدخل الجنة، فعن معاذ بن
جبلٍ (رضي الله عنه) قال: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فِي سَفَرٍ، فَأَصَبَحْتُ
يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ خَلِيًّا قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يَدْخُلُنِي
الْجَنَّةَ، وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ، قَالَ: (لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيْسِيرٌ عَلَيَّ مَنْ يَسِرَّهُ
اللَّهُ عَلَيْهِ، تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ،
وَتَحُجُّ الْبَيْتَ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جَنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ
الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ..).**

ويقول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَعُرْفًا تُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا
وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا) فَقَامَ إِلَيْهِ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (هِيَ لِمَنْ
أَطَابَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى لِلَّهِ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ).
وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) سَأَلَ
الصَّحَابَةَ يَوْمًا: (مَنْ أَصْبَحَ الْيَوْمَ مِنْكُمْ صَائِمًا؟)، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: (مَنْ عَادَ
مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟) قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: (مَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟) قَالَ أَبُو بَكْرٍ:
أَنَا، قَالَ: (مَنْ أَطْعَمَ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟) قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. قَالَ مَرْوَانُ: بَلَّغْنِي أَنَّ النَّبِيَّ
(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (مَا اجْتَمَعَتْ هَذِهِ الْخِصَالُ فِي رَجُلٍ فِي يَوْمٍ، إِلَّا دَخَلَ
الْجَنَّةَ).

(٥)

* ومن فضائل الصيام- أيضًا- : أنه يشفع لصاحبه يوم القيامة ، ويقبل الله شفاعته فيدخله الجنة ، يقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ ، مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ ، فَشَفَّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفَّعْنِي فِيهِ) قَالَ: (فَيُشَفَّعَانِ).

* ومنها : أنه أحد أبواب الجنة ، حيث اختص الله (عز وجل) الصائمين دون غيرهم باب في الجنة يسمى باب الريان ، لا يدخل منه أحد غيرهم ، فينادي عليهم يوم القيامة أين الصائمون؟ لتقف الخلائق على مكانتهم ، وجزاء أعمالهم في الدنيا ، وما خصهم الله به يوم القيامة ، يقول النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرِّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ ، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَقُومُونَ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ)، وتعبير النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بقوله : (إن في الجنة بابًا) ، ولم يقل : (إن للجنة بابًا) ليشعر بأن الباب المذكور فيه من النعيم والراحة ما في الجنة ، فيكون أبلغ في التشوق إليه .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

إخوة الإسلام :

* من فضائل الصيام: أن الدعاء فيه مستجاب ، حيث بشر النبي (صلى الله عليه وسلم) الصائمين باستجابة دعائهم ، فقال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ : الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ ، وَالْإِمَامُ الْعَادِلُ ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ) ؛ ولقد توسطت آية الدعاء بين آيات الصيام وأحكامه ، فقال سبحانه: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)؛ لتدل دلالة واضحة على ارتباط عبادة الصوم بعبادة الدعاء .

* ومن فضائله : أن الله (عز وجل) جعل رائحة أفواه الصائمين أطيب عنده من ريح المسك ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ).

وغير ذلك الكثير والكثير من عطاء الله (عز وجل) للصائمين في رمضان ، فالصيام عبادة لا مثيل لها ، وفضائل هذه العبادة العظيمة أكثر من أن تحصى أو تعد ، ويكفي من إكرام الله (عز وجل) لأهل الصيام ما قاله النبي (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الْمُتَسَحِّرِينَ) ، فإذا كان الله وملائكته يصلون على المتسحرين ، والسحور عون على الصيام ، فما ظنك بفضل الصيام ؟ .

على أننا نوكد أن الصيام الذي يبلغ به العبد هذه الدرجات العالية ، هو الصيام الحقيقي الذي يحفظ العبد به جوارحه ويتحلى فيه بالصبر ، ويربي فيه النفس على مراقبة الله (عز وجل) ، وقوة الإرادة وصدق العزيمة ، ويضبط سلوكه وتصرفاته بميزان الشرع الحنيف ، فلا يصخب ولا يجهل ولا يظلم ولا يعتدي ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (الصِّيَامُ جُنَّةٌ ، فَإِذَا كَانَ يَوْمٌ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثُ ، وَلَا يَصْحَبُ ، فَإِنْ سَابَهُ أَحَدٌ ، أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِيَّي صَائِمٌ ، إِيَّي صَائِمٌ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ

(٧)

لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمَسْكِ ، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ).

فالصوم مدرسة لتهديب السلوك وتقويمه ، وتزكية النفس والسمو بها للوصول إلى الكمال ، وتطهير الجوارح من كل ما يغضب الله (عز وجل) ، قال سبحانه : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} ، وقال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (لَيْسَ الصِّيَامُ مِنَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ ، إِنَّمَا الصِّيَامُ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ ، فَإِنْ سَابَكَ أَحَدٌ أَوْ جَهَلَ عَلَيْكَ ، فَلْتَقُلْ: إِي صَائِمٌ، إِي صَائِمٌ) ، وقال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ وَالْجَهْلَ ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ بِأَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَلَا شَرَابَهُ) ، وقال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (رُبَّ صَائِمٍ حَظَّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ، وَرُبَّ قَائِمٍ حَظَّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهْرُ) ، ومن أهم السلوكيات التي يجب أن يحرص عليها الصائم في هذا الشهر الكريم عدم الوقوع في الإسراف والتبذير ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى في كتابه الكريم : {وَلَا تُبْذِرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا} ، ويقول سبحانه : {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ } (الأعراف: ٣١) .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا إلى أن نصوم حق الصيام ، وأن نقوم

حق القيام ، اللهم تقبل صيامنا وقيامنا ، واختم بالباقيات الصالحات أعمالنا .